فيصل حوراني في روايته الثانية "بير الشوم"

ينحت من صخر ، ولكنه نحات جيد

((بير الشوم)) هي الرواية الثانية لفيصل حوراني . بعد ((المحاصرون)) اصدار ((دار الكلمة)) وتقع في ٢٧١ صفحة من القطع الوسط . وتروي احداث العام ١٩٤٨ في فلسطين .

ومنذ البداية ، نحس كم اجهد الكاتب نفسه في خلقها . في ابتداع شخوصها ، وتأطير مشاهدها ، وربط تفاصيلها ، باكثر من سلك دقيق ، في نسج محكم وطول عمل وجهد لدرجة ، يصح فيه قول قدماء النقدة : انه ينحت من صخر ، ولكنه نحت جيدا على اية حال ، وقد أعطانا عملا روائيا مقبولا .

في البدايات ، لا نحس بكثير انجذاب للاسلوب . لقد وظف الكاتب نفسه راوية في القصة وينتظر دخول شخوصه ، كل في الكادر المهيأ له ، ليحكي عنه .. « تعالوا ادلكم على كذا كذا .. لقد جاء الوقت لاحدثكم بكذا ... » .

ولكن ، ما ان يمر جزء ، غير يسير في الرواية ، حتى ينسجم مع نفسه ،ليستمر قاصا ، فيرتاح السرد وتأخذ شخصياته دما جديدا ، هاذا هي تتحرك بقوة ومرونة. واذا بالعمل ، ينسارع كالجدول وقد وجد مجراه ، سلسا ، بحسن تتابع ، ومتن حبكة .

لقد أكثر الكاتب في البداية ، من اللهجة العامية ، لدرجة مضجرة ، لكأنه يخشى على الفصحى الا تؤدي ما يطلب منها اداؤه . ولكن ، حتى هذه المثلبة ، تتحول الى عنصر تشويق فيما بعد . خاصة حين ينقل الينا ، تلك اللهجات بشكل يوحي بكثير معرفة بها . وحسب مناطقها .

ايضا . يبدو أن الكاتب ، اما ينتمي ، اصلا ، الى جذور فلاحية حقيقية ، او انه عايش طبقة الفلاحين في فلسطين ، حتى لاصبح وكانه واحد منها .

ان يعرف أدق، أدق تفاصيل حياتهم ، كيف يفكرون، ينصرفون ، وكل جوانب الحياة في مجتمعاتهم بايجابياتها وسلبياتها .

على صعيد المضمون . أحاط المؤلف بكل جوانب الـ ٤٨ . ضمن الاطار الذي اختاره . دور القيادة في القدس (الجهاد المقدس) حسناتها وسيئاتها دور جيش الانقاذ . وكذلك الجيوش العربية . صحيح انه لم يتوقف طويلا عند كل ذلك ، والا لكان الكتاب مجرد تاريخ سياسي لتلك المرحلة . ولكنه نقل الصورة التي اقتنع بها الينا بامانة قصصية متناهية .

اما تمانجه فكانت في غالبيتها رائعة .

• المختار ، عقده ، أحابيله ، أسلوبه في الوصول الى تكريس زعامته على القرية ... انه واحد من مخاتير ، يمثلون شبه طبقة معينة في مجتمعنا العربي، طبقة طفيلية تستغل الموروث في عاداتنا ، خصوصا في الارياف ، لتعيش عالة على تلك المجتمعات ، وكثيرا ما تشكل عائقا ، غير هين ، في وجه اي تقدم او تطور .

ابو جهاد ، قائد الفصيل ، الثائر الحقيقي ، الذي يملك من الشجاعة وحسن البديهة ، ما يضعه الى جانب القادة الحقيقيين .

الشيخ حسن . الانسان الطيب . الذي فهم الدين جهادا وعملا وتعبيرا عن تطلعات الرعية .. ودفع الثمن غاليا . الا انه ظل انموذجا طيبا لهؤلاء الفلاحين الطيبين .

قصتا الحب ، الجانبيتان، والاساسيتان في آن معا، في سياق الرواية . ابنة المختار وشعبان ، ثم بارعة وجواد .

شخصية بارعة بالذات ، كانت من أغنى الشخصيات بحبها ، بتحملها لقسوة مقولات مجتمعاتنا المقيرة . ثم بتمردها في النهاية ونهايتها الكبيرة . ثم بقصة حبها التي اختلطت فيها الاموجة بطول المذابات وارادت أن تقوض بها ، عن كل ما تحملته من مرارات ، في حياتها المليئة بالجراح . انها فعلا « بارعة » .

« بير الشوم » أو بئر الشؤم ، لم يحسن توظيفه في البدايات ، وان اطلع في ذلك عند النهاية . ان الاعداء يعرفون بادق تفاصيل اسلوبنا في التفكير ، ويجيرونها لحسابهم . فهم يعلمون تماما أن أهل القرية ينطيرون من البئر ، فلا يأتون ناحيته ، خاصة في الظلام . ولهذا ، جعلوا مقر قيادة الهجوم عليها ، عنده انها نقطة جد مهمة .

اما بقية النهاية فلم تكن موفقة . جواد الذي سمع بالقادمين قبل أن يسمعوا به وشاهدهم قبل ان يشاهدوه . لم ظل منبطحا وبندقيته بجانبه حتى وصلوا اليه وقيدوه . وقد عرفناه شجاعا حد التهور في كل فصول الرواية . لو انه أطلق طلقة واحدة لكان نبه أهل القرية الى الاعداء . وربما كان وجه المعركة قد تغير .

ثم المجزرة قرب البير . هل يعفي الكاتب من الدخول في تفصيلاتها ، قوله :

« لماذا أصفها لكم ؟ هل بينكم من لم يشهد مجزرة أو يسمع أو يقرأ أوصافا كاملة لها ... الخ »

بينما ، هذه المجزرة بالذات . والتي اعتبر وصفها من قبيل تحصيل الحاصل غير الضروري . ربما كانت تستحق رواية مخصومة لوحدها .

عموما « بير الشوم » تظل رواية لها أهميتها الخاصة على صعيدي الاسلوب والمضمون . وستأخذ مكانها اللائق بها ، في دنيا الرواية العربية الحديثة . ولامد قد يطول أكثر مما نتوقع في عمر الزمن ..

(...)

قصائد

للندم. للموت. للولادة

شعر: حسين نصرالله

قلق ادمن الروح .
ها نحن نلتفت على رقص امامنا .
نلتفت على ظلمه القلب .
يصافحنا الجليد فنهوى مثل الاقدام العتيقة .
او رغبة وقت يابس .
فنتجمهر حول دحشة الخصب .
وننتظر الجثث العائدة .
قلق ادمن الروح .
ايتها القمة .
كل شيء يذوي والنهارات تحطم سلطتي لاحتياطي الارصفة .
ومقاصل المواعيد تلغي خطونا القادم .
... آه لو اعانق جرثومه بياضك وشهوة الاعضاء .
نستهل رغباتنا المتدليه ونبدا نوما يحاصر وهجنا .
... آهلو يستدير الجسدين لعراء الوطن .
نسير بين الجنازة والنشيد ونبتلع رغبة.
آه لما بلفنا من دم الحرائق وما بلفنا من الاشواق .
رماد ولنا النهر اذا اختنق الماء .
رماد والتراب صديق .
اننا نخلط سكرتنا بالضجيج .
ونضحك من خمرة الصحارى على عماء الرمل .
قلق ادمن الروح .
ودمع يسيل بيننا .
نحاول حرق اعضائنا .
فيهب بين الثوب والجسد رعب غريب.
ويتدلى الشهداء من الشرفات والنقوب.
نمسك زبد الجثث ونركض في براري الظنون .
ايتها القمة .
سرطان دموي يسري بين العظام .
وغربه خضراء تصير لفاحا لاحزاننا .
نهاجر وفي احداقنا بحه العالعال .
نهاجر ونتوسد جراحنا مثل السلاسل .
قلق ادمن الروح .
وهذا الدخان مملكتنا ...

من ديوان « اعترافات في غرفة موصدة » تحت الطبع .

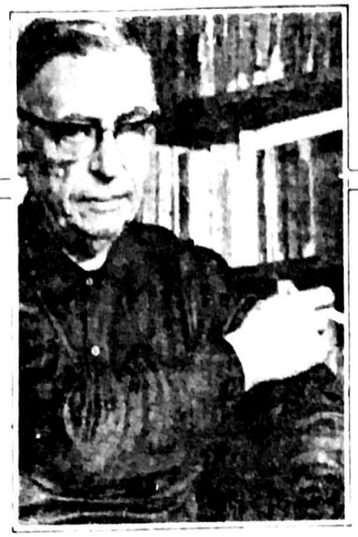

سارتر المدافع عن الحريات

سارتر للمرة الثانية ضيفا على الكيان العنصري

الحديث مع فيلسوف هل يختلف عنه مع الانسان في اي مكان من هذا العالم الفسيح باطوار تطور المجتمعات البشرية ، وأحوال (هذا) الانسان الذي يعيش بكنفها ؟ يمكن ذلك ! اي يمكن أن يختلف الحديث بين هذا وذاك ..

لا علينا ... ولك الحق يا (جان بول سارتر) أن تذهب اينما تذهب ، وتصرح بما شئت ، وتصدر من الكتب ما تريد و (تخرج في التظاهرات بالتضامن مع من هضمت حقوقهم في بلدانهم .. أو ممن يعيشون في ظل ظروف مذلة في هذه الحقبة من تاريخ التجربة الانسانية ، وتوقع عرائض الاستنكار لما يجري في ذاك البلد او هذا بحق الانسان !) ، ومن حقك أن تدخل في عقد جديد من سني عمرك ، وتستشعر الوجود ، اللا وجود في هذا العالم .. ولك كل الحق في أن تستمر حيا عزيزا مكرما بظل سلطات بلادك الليبرالية والتي قد ضقت ذرعا بها ! ولكنها على اية حال افضل مما هو حال الذين لا يجدون في بلدانهم القمعية شيئا اسمه النور او الحرية البسيطة فيغادرون الى بلادك وبلاد الغير كيما يشعروا ببعض مما عشت بظله وترعرعت بكنفه لسنين طوال ..

ولكنك تنسى يا (جان بول سارتر) .. تنسى على الدوام ، ولا تعرف ان كان ذلك بسبب سنك أم بسبب فلسفتك أم بسبب خرافات العالم .. تنسى انك تحب (الصهيونية) بعض الشيء ! ولكنك لا تجهر بذلك بكامل خلجاتك والتماعاتك المعهودة كيما تكتمل الصورة أمام رايك العام ! وامام الرأي العام .. وبالتالي لا يبقى هناك اي غبار عما يحاوله (رعاع الشرق)، من تشويه (الواقع الصهيوني) وحينها ستكتمل المصنفات والموسوعات الادبية والمعرفية في العالم ، « اسرائيل » في زيادة عدد الصفحات المهورة ، والمضمخة بأريج افكارك ، ومواقفك وترجمات ذلك عمليا باعتبارك من القلة في هذا العصر ممن يقولون فيفعلون وذلك أعظم الايمان وانها للوحة عظيمة أنت عنصرها في اللون والمساحة مما تريد شعوب العالم في أن يقف (المبدعون) باصطفاف اعظم راجل مع واحدة ... واحدة — وأي واحدة — من أقذر التجارب الفاشية في هذا العصر (اسرائيل) ، وبدراية ومعرفة سابقة (١) وبديمومة لا يجاريها الا القلة في يومنا هذا .

(جان بول سارتر) وأنت تزور « اسرائيل » الان فمن الضروري جدا أن تبقى ، وتقضي ، وتقضي ما تبقى من قيلولة عمرك .. وفي ذلك مجد سوف يشار له في حياتك أو مماتك !! وذلك لن يكون بالجديد ، والفرنسيون بسمعوا بالغرباء عن هذه المنطقة والحمد لله . فهم من الوافدين الاول وهم الذين شملوا بعض اجزائنا بكراماتهم ونواياهم الرائعة كابناء عمومتهم ابناء بريطانيا العظمى !! .

وانت فرنسي وهذا مما لا شك فيه .. فتعال الى « اسرائيل » كيما تكون قريبا . ونرجو أن تحاول قراءة بعض من قرون (روزنامة) التاريخ بعين واحدة ... في ، ولا أحد من الاطباء أو الشعوب يستطيع ان يعيد لك صواب وجهة نظرك بما أن الطبيعة هبتك ذلك .

وكأني بك مستريح في ذلكوهو على سيماء وجهك وفي مقدمة أعمالك الجريئة ، والتاريخ لا يتجاهل ذلك ، وعلى العكس فانه يحفظ لك ما تمارس، وما تقول سواء زرت « اسرائيل » أو خرجت في تظاهرة مع من لا يتضامن معهم ..

ونحن من الذين عسفت بهم الدول ، وأجهزتها ، و « اسرائيل » ... (ومن المؤكد (انك ونفر آخر ستضحكون في سركم وتقولون : أأشركتم اسرائيل مرة أخرى فيما تفعله بكم (حكومات الواق واق) ومن قبلها فرنسا وبريطانيا ومن قبلها ...) نحن لا نريدك يا سيد (جان بول سارتر) أن تخرج في أي تجمع أو مظاهرة يجري التحضير لها سواء في فرنسا او « اسرائيل » ! حيث تقول بعض (المعلومات) ان « اسرائيل » وبعض لجان الدفاع عن (حقوق) الانسان تتهيأ في هذه الايام لعقد مؤتمرات وندوات للدفاع عن حضارة الانسان المنتهكة في بعض مناطق العالم ! ومن المنتظر أن تكون زيارتك الاخيرة « لاسرائيل » في محاولة للتحضير ولاشتراك بتلك الفعاليات .. ونتمنى أن يكون ذلك صحيحا حتى يخرج لنا أكبر عدد من أذنالنا المحليين والعالميين ليقولو لنا رب (عين صاحية) : يا أيها العرب المتخلفون ، ويا أيها الشرقيون الهمج انظروا الى ما يجري في الكون حتى تكفوا عن افكاركم الغريبة ومواقفكم غير الطبيعية وكونوا متحضرين ..

جان بول سارتر .. أتستطيع أن تفلسف — باعتبارك فيلسوفا — لنا بعض الامور باعتبارك قد أدخلت في سني الوضوح واكتملت تجربتك ورأيت ما رأيت فيما تحقق لما تصورت ودونت .. هل تستطيع أن تفلسف لنا الامور التالية : اتفاقية سايكس — بيكو .. الشعب الفلسطيني .. البترول .. وعد بلفور .. الجزائر .. ١٩٤٨ .. السماء صافية .. مهاجرون يهود .. كارتر ومن بعده كندي .. وجود (ك) في « اسرائيل » ... دير ياسين .. الشعوب المقاومة .. احتلال المانيا لفرنسا ... الخجل .. الشرق ... الحقيقة .. التاريخ ... واحتفظ بالجواب لنفسك ان اردت !

نزار

(١) عام ١٩٦٧ زار (جان بول سارتر) « اسرائيل » وكان أفرح الى قلبه ، قمة ما استطاع أن يراه من منجزات حضارة القرن العشرين هو مشاهدة المجندات الاسرائيليات وهن يقدن البلدوزرات بلباس البيكيني ! كما نشبت هو من دلك في مجلته (الازمنة الحديثة) ..